همم عظيمة مع صِغَر الأعمار

بقلم/ محمد بن علي بن جميل المطري

١) معاذ بن جبل من كبار علماء الصحابة، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن واليًا وقاضيًا ومعلمًا، وتوفي النبي عليه الصلاة والسلام وعمر معاذ ٣١ عامًا، وتوفي معاذ سنة ١٨ للهجرة وعمره ٣٨ عامًا.

٢) أسامة بن زيد بن حارثة، أمَّره النبي صلى الله عليه وسلم على جيش وعمره ١٨ عامًا.

٣) زيد بن ثابت الأنصاري، من أشهر كتاب الوحي، توفي النبي عليه الصلاة والسلام وعمره ٢١ عامًا، وتولى كتابة المصحف في عهد أبي بكر الصديق وعمره ٢٢ عامًا، وتوفي سنة ٤٥ للهجرة وعمره ٥٦.

٤) محمد بن القاسم الثقفي، فتح السِّند (باكستان) وعمره ١٧ عامًا، وتوفي سنة ٩٨ وعمره ٣٦.

٥) عمر بن عبد العزيز، الخليفة الأموي المشهور بالزهد والعدل، توفي سنة ١٠١، وعمره ٣٩ عامًا.

٦) إمام النحاة سيبويه عمرو بن عثمان الشيرازي ثم البصري، توفي سنة ١٨٠ وعمره ٣٢ عامًا.

٧) هارون الرشيد، الخليفة العباسي المشهور، تولى الخلافة وعمره ٢١، وتوفي سنة ١٩٣ وعمره ٤٤ عامًا.

٨) محمد بن إدريس الشافعي، أحد الأئمة الأربعة المشهورين، توفي سنة ٢٠٤، وعمره ٥٤ عامًا.

٩) الإمام البخاري، حفظ القرآن وهو غلام صغير، وبدأ في طلب علم الحديث وعمره عشر سنوات، وحفظ آلاف الأحاديث والآثار مما في كتب عبد الله بن المبارك ووكيع

بن الجراح وعمره ١٦ عامًا، وألف أقضية الصحابة وعمره ١٨ عامًا، وبدأ في تأليف كتابه التاريخ الكبير قبل سن العشرين، واستمر في تأليفه سنين، وهو مطبوع في ٨ مجلدات، فيه أسماء ٣٤٠٠ من رواة الحديث من الصحابة والتابعين وأتباعهم، مع ذكر شيء من أنسابهم، وبعض من روى عنهم ورووا عنه، وذكر تاريخ وفيات كثير منهم، ورحل البخاري لسماع الحديث إلى أكثر مُحَدِّثي الأمصار في خراسان ومدن العراق والحجاز والشام ومصر، وبلغ عدد شيوخه في الحديث ألفا وثمانين شيخا، وكتب ستمائة ألف حديث بأسانيدها، وألف كتابه الصحيح في ست عشرة سنة، اختار فيه أصح الصحيح من الأحاديث التي سمعها وكتبها عن شيوخه، توفي البخاري سنة ٢٥٦، وعمره ٦٢ عامًا.

١٠) عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، مؤلف كتاب الجرح والتعديل، وعِلل الحديث، ولد سنة ٢٤٠ للهجرة، وتوفي بالرَّي (طهران) سنة ٣٢٧ وعمره ٨٧ عامًا، والعجيب أنه يذكر في كتابه علل الحديث سؤالاته الدقيقة في علل الأحاديث لأبيه ولأبي زرعة الرازي وكان عمره حينها حوالَي عشرين عامًا! فإن أبا زرعة توفي سنة ٢٦٤، وعمر عبد الرحمن ٢٤، وأبو حاتم الرازي توفي سنة ٢٧٧، وعمر ابنه عبد الرحمن ٣٧، ملأ كتبه من الرواية عنهما.

١١) أخبار المحدثين كثيرة في علو همتهم وتبكيرهم في طلب سماع الحديث، ومنهم عبد الرزاق بن همَّام الصنعاني، صاحب المصنَّف المشهور باسم مصنَّف عبد الرزاق، فيه نحو ٢٠ ألف حديث وأثر، وهو شيخ مشايخ البخاري ومسلم، ولد عبد الرزاق سنة ١٢٦، ورحل من اليمن في أول شبابه، فكتب الحديث عن كبار حفاظ عصره، مثل إمام أهل مكة ابن جُريج المكي المتوفى سنة ١٥٠، كتب عبد الرزاق عنه وعمره ٢٤ سنة أو أقل، وكتب عبد الرزاق عن إمام أهل الشام الأوزاعي المتوفى سنة ١٥٧ وهو في العشرينات من عمره، توفي عبد الرزاق سنة ٢١١، وعمره ٨٥ عامًا، وروى

مصنفه وأحاديثه كثير من كبار العلماء، كأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وإسحاق بن راهويه، وأصغر من روى عنه إسحاق بن إبراهيم الدبري الصنعاني، روى عن عبد الرزاق وعمره ١٥ عامًا قبل موت عبد الرزاق بسنة، ثم طال عمر الدبري حتى توفي بصنعاء سنة ٢٨٥ للهجرة وعمره تسعون سنة، وممن روى عنه الحافظ الكبير أبو القاسم الطبراني المولود سنة ٢٦٠ للهجرة، والمتوفى سنة ٣٦٠ للهجرة عن مائة سنة، فيكون الطبراني رحل إلى صنعاء لإدراك الدبري وعمره أقل من خمسة عشر سنة، فكان الطبراني من أعلى الناس إسنادًا، مع تأخر وفاته، فكان بينه وبين النبي عليه الصلاة والسلام ٥ رواة فقط، يقول مثلا: حدثنا إسحاق الدبري عن عبد الرزاق الصنعاني عن معمر عن قتادة عن أنس بن مالك عن النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا غاية في علو الإسناد في القرن الرابع الهجري، وكذلك البيهقي أشهر حفاظ الحديث في خراسان المتوفى سنة ٤٥٨ للهجرة وابن عبد البر أشهر حفاظ الحديث في الأندلس المتوفى سنة ٤٦٣ للهجرة، كل منهما بكَّر في سماع الحديث في صغره، وأدركا كبار الحفاظ في عصرهما، ولكل واحد منهما أسانيد سداسية، وهي غاية العلو في القرن الخامس الهجري.

١٢) ابن أبي زيد القيرواني، ألَّف متن الرسالة وعمره ١٧ سنة، وهي أشهر المتون في الفقه المالكي، توفي سنة ٣٨٦، وعمره ٧٦ عامًا.

١٣) أبو بكر بن العربي المالكي الإشبيلي، القاضي المشهور، رحل من الأندلس إلى المشرق للحج وطلب العلم وعمره ١٧ عامًا، وانتهى من تأليف كتابه العظيم أحكام القرآن وعمره ٣٥ عامًا، توفي سنة ٥٤٣، وعمره ٧٥ عامًا.

١٤) العلامة المقرئ المشهور قاسم الشاطبي، الضرير، حفظ كتاب التيسير في القراءات السبع، وقرأ القراءات السبع على بعض مشايخه وعمره نحو العشرين، ونظم

المنظومة العجيبة في القراءات السبع المشهورة بمتن الشاطبية، وتوفي سنة ٥٩٠، وعمره ٥٢ عامًا.

١٥) عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، العلامة الموسوعي في التفسير والحديث والفقه والتاريخ والطب، صاحب التصانيف الكثيرة، حفظ القرآن صغيرا، وبدأ في سماع الحديث وعمره ثمان سنوات، وبعد أن بلغ سن الثمانين تعلم القراءات العشر، توفي ببغداد سنة ٥٩٧، وعمره ٨٩ عامًا.

١٦) يحيى النووي، من أئمة فقهاء الشافعية، العلامة المشهور، صاحب التصانيف الكثيرة النافعة، توفي سنة ٦٧٦، وعمره ٤٥ عامًا.

١٧) ابن تيمية، شيخ الإسلام، الإمام المجتهد، برع في العلم والتفسير وأفتى ودرّس وهو دون العشرين، وكان له دور عظيم في الحث على جهاد التتار وعمره دون الأربعين، وتوسع في جميع العلوم الشرعية، وألف الكثير من الكتب النافعة، وتوفي مسجونًا مظلومًا في دمشق سنة ٧٢٨ وعمره ٦٧ عامًا.

١٨) العلامة النحوي الكبير ابن هشام الأنصاري، صاحب المؤلفات النحوية المشهورة كشرح قطر الندى، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، توفي سنة ٧٦١ للهجرة، وعمره ٥٣ عامًا.

١٩) محمد بن مفلح، العلامة الحنبلي المشهور، مؤلف كتاب الفروع، والآداب الشرعية، توفي سنة ٧٦٣ وعمره ٥٥ عامًا.

٢٠) القاضي تاج الدين عبد الوهاب السُّبْكي، مؤلف كتاب جمع الجوامع في أصول الفقه، وطبقات الشافعية الكبرى، توفي سنة ٧٧١، وعمره ٤٤ عامًا.

٢١) محمد بن الجَزَري، شيخ القراء، حفظ القرآن الكريم وعمره ١٣ عامًا، وجمع القراءات العشر وعمره ١٧ عامًا، وألف كتاب التمهيد في علم التجويد وعمره ١٨ عامًا، وابتدأ في تأليف كتابه المشهور غاية النهاية في طبقات القراء وعمره ٢١ عامًا،

وأجازه شـــيخه الحافظ ابن كثير بالإفتاء وعمره ٢٣، وأتقن علم القراءات، وأكثر من القراءة على شيوخ عصره بالروايات، ونظم عدة منظومات في القراءات والتجويد، وله مؤلفات كثيرة متنوعة، ومن أشــهر كتبه النشــر في القراءات العشــر ألفه وعمره ٤٨، توفي سنة ٨٣٣ وعمره ٨٢ عامًا.

٢٢) السـلطان العثماني محمد الفاتح تولى الخلافة وعمره ٢٠ عامًا، وفتح القسطنطينية وعمره ٢٢ عامًا، وتوفي سنة ٨٨٦ وعمره نحو ٥١ عامًا.

٢٣) محمد بن عابدين الدمشــقي الحنفي، من أشــهر فقهاء الأحناف المتأخرين، مؤلف كتاب حاشية ابن عابدين، توفي سنة ١٢٥٢، وعمره ٥٤ عامًا.

٢٤) أبو الثناء محمود الآلوسي الحسيني، مؤلف كتاب روح المعاني في التفسير، توفي سنة ١٢٧٠، وعمره ٥٣ عامًا.

٢٥) حافظ حكمي الجيزاني، العلامة المشهور، نبغ في العلوم الشرعية وهو في سن العشــرين، ونظم وهو منظومة ســلم الوصــول في العقيدة وعمره ٢٠ عامًا، وشــرحها بكتابه العظيم النافع معارج القبول شرح سلم الوصول وعمره ٢٤ عامًا، توفي وعمره ٣٥ عامًا.